المحاضرة 03: النقد عند الرافعي

اعتمد الرافعي فيما صدر عنه من نقد على كتب الأدب القديمة من مثل البيان والتبيين والمثل السائر، ونعتقد أنه سلك في قراءاته نفس السبيل التي أشار على أبي ريه أن يسلكها والتي سيأتي ذكرها، على أن الرافعي لم ينتفع كثيرا من دراسته التي تلقاها في المدرسة، إذ أنه انقطع عن الدراسة بعد نيله الشهادة الابتدائية من مدرسة المنصورة الأميرية وعمره آنذاك نحو سبعة عشرة سنة، وكانت ظروف المرض الذي أصابه في نفس السنة التي أتم فيها التعليم الابتدائي، هي التي اضطرته للانقطاع عن الدراسة، وألزمته الفراش أشهرا، وقد أحدث ذلك المرض وقرا في أذنيه أول الأمر، ثم أصم إحداهما، وما أتم الثلاثين من عمره حتى صار لا يسمع شيئا.

ولكن الرافعي كان عصاميا، ومثله في ذلك العقاد، فقد كمل نفسه بالقراءة الخاصة المتواصلة، وإن كانت قراءاته انحصرت على الثقافة العربية وحدها، اللهم إلا ما قد يكون أطلع عليه مترجما للعربية، فهو لم يستفد إلا قليلا من معرفته للفرنسية التي تلقاها بالمدرسة حيث لم يقرأ فيها بعد تركه المدرسة إلا يسيرا ثم هجرها ولم يعد إليها.

وقد بدأ الرافعي إنتاجه الأدبي منذ سنة 1900م، ولكن كان أول ما كتبه في النقد هو مقدمته للجزء الأول من ديوانه الذي أصدره سنة 1903م.

ففي هذه المقدمة تحدث عن معاني الشعر وفنونه ومذاهبه وأوليته، وعرف الشعر في بعض المواضع تعريفات غامضة لا يستطيع المرء أن يقف منها على شيء من حقيقته، ولكن صدرت منه في بعض آخر تعريفات يمكن أن نتبين منها شيئا مما يفيد، ومن تلك الأخيرة قوله: إن « أول الشعر اجتماع أسبابه، وإنما يرجع في ذلك إلى طبع صقلته الحكمة، وفكر جلا صفحته البيان، فما الشعر إلا لسان القلب إذا خاطب القلب، وسفير النفس إذا ناجت النفس، ولا خير في لسان غير مبين، ولا في سفير غير حكيم». وهو يضع الوزن والتقفية في المرتبة الثانية بعد لغة النفس لتصب فيهما هذه اللغة. كما يرى أن الشعر الجيد هو ما يؤثر في سامعه كيفما كان موضوعه، وأنه ينبغي أن يتخذ شعر الفحول الأقدمين مثالا له، ثم لا يتكلف التزيين بالصنعة، فأحسن الشعر ما كانت زينته منه.

ومن تعريفه الغامض للشعر الذي لا تخرج منه بغير التخليط قوله: « ولو كان طيرا يتغرد لكان الطبع لسانه، والرأس عشه، والقلب روضته، ولكان غناؤه ما نسمعه من أفواه المجيدين من الشعراء، وحسبك بكلام تنصرف إليه كل جارحة، وتنضم عليه كل جانحة، ويجنى من كل شيء، حتى لتحسب الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس». هذا ولا أحسب أحدا يستطيع أن يفهم من هذا التعريف شيئا واضحا عن الشعر، بل لا أحسب الرافعي نفسه يستطيع شيئا من ذلك، وإلا فما هذه الأطيار والعشاش...والنحل والثمرات وشفاء الناس مما يخرج من بطونها؟!

ليس في كل ذلك شيء عن حقيقة الشعر أو بيان مذهبه أو ما ينبغي أن يكون عليه، ولقد كان في وسع الرافعي أن يكتفي بمثل تعريفه السابق، ففيه ما يدل على شيء.

وأما في نقد الشعر فقد حدد مقياسه بقوله: « وأما ميزانه فاعمد إلى ما تريد نقده، فرده إلى النثر فإن استطعت حذف شيء منه لا ينقص من معناه أو كان في نثره أكمل منه منظوما فذلك الهذر بعينه أو نوع منه. ولن يكون الشعر شعرا حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الإجادة، وتلك مقلدات الشعراء». فنقده منصب على الجملة أو

البيت في حشوه أو خلوه من الحشو، وفي الموازنة اللفظية بين نثر البيت وبينه منظوما، وفي جودة الكلام ورداءته، على أننا نفهم من سياق عبارته أنه يريد بهذه الجودة أو الرداءة النظر إليها من الناحية اللفظية فحسب، وهو على ذلك يجنح للنقد الفقهي ويدعو إليه.

3. وفي مقدمة الجزء الثاني الذي أصدره سنة 1904م تحدث عن سرقة الشعر وتوارد الخواطر وأورد أيضا بعض التعريفات للشعر ربما كان خيرها قوله: « الشعر معنى لما تشعر به النفس فهو من خواطر القلب إذا أفاض عليه الحس من نوره انعكس على الخيال فانطبعت فيه معاني الأشياء كما تنطبع الصور في المرآة». كما أنه اشترط في الشاعر رقة الحس وطبع النفس وصفاء الذهن وانتباه الخاطر وبعد النظر وشدة العارضة وقوة البديهة ومثراة الرواية وحنكة التجارب وشمول الحكمة.

وأما في حديثه عن السرقة فقد تعرض لآراء الأقدمين فيها وفي أنواعها وفي أسباب توارد الخواطر وانتهى إلى قولهم: « إنه ليس لأحد من أصناف القائلين غني عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب في قوالب من سبقهم ولكن عليهم أن يبرزوا ما أخذوه من معارض من تأليفهم ويؤدوه في غير حليته الأولى، ويزيدوا في حسن تأليفه وجودة تركيبه وكمال حليته ومعرضه، فإذا فعلوا ذلك فهم أولى بها ممن سبق إليها وهو كلام لا يمتري فيه ولكن شرطه ما ذكرناه لك من قبل». ويعني بهذا الشرط إبداع الشاعر ومضيه في كل معنى وانتباهه إلى أدق المناسبات، وهو يرد التفاوت بين الشعراء وتميز بعضهم على بعض إلى أسباب عديدة منها اختلاف البيئة والعصر والظروف التي تحيط بشاعر دون سواه.

4. أما الجزء الثالث للديوان وقد صدر سنة 1906م، فقد كتب مقدمته تحت عنوان « نوع من نقد الشعر»، وفيها جملة من النظريات الصائبة التي تعد أسسا من أسس هذا النقد الحديث، منها أنه يدعو للنظر إلى جوهر الشعر وروحه، لا إلى قشوره وظواهره، ومنها أنه يدعو للنظرة الشاملة عند الشعراء، فيريد الشعر أن يكون، « تصوير عالم حي من المعاني والألفاظ، فالمجيد من جعله مختصرا من صورة العالم كله ولابد فيه من شعاع من الروح إذا تجردت له النفس امتزجت لطافتها بلطافته، وربما أخذ المرء بلذة التصور فظنها في مكان نفسه، وحسب نفسه في مكانها ونحن ناظرون إلى نقد الشعر من هذه الجهة التي يتمثل فيها حيا من الأحياء».

ثم يذم الشعر المتكلف الذي يفرض فيه الفكر على الإرادة، والإرادة على العاطفة، فلا تصدق العاطفة، ولا تخلو من الغلو. ويذم كذلك التكلف الذي يأتي من عبادة الأوزان، وتقليد القدماء في صورهم ومعانيهم، والقدماء وجه عذر في ذلك ليس للمحدثين، وليست الحضارة كالبداوة، وإنما على المحدثين أن يضيفوا للقديم ويحسنوه.

وتحدث الرافعي عن الشعر القصصي، وندرته في الشعر العربي، فرأى أن المعنى في الشعر العربي لا يضيء إلا بشعاع من الخيال، فلا تستطيع أن تقيم منه حديثا سوي التركيب، كامل الترتيب، ولذلك يرى أنه لا بد لهذا النوع في لغتنا من وضع جديد يكون وسطا بين النثر والنظم، حتى يحمل الألفاظ والمعاني معا.

والرافعي يريد الشعر أن يكون تصويرا للطبيعة، مؤثرا في سامعه، ولعله – بدعوته للنظر إلى روح الشعر- لا يريد أن يكون وصف الطبيعة هذا وصفا حسيا، وإنما يريده وصفا لأثر الطبيعة في النفس، قال: « وللشعر أساليب تنتجها القرائح ولكن جماع القول فيها، أنها تمثيل للطبيعة، فكأن الشاعر ينقل مناظر الأرض إلى الروح العالية، التي ترسل إلى الجسم شعاع الحياة، فتزيد تلك المناظر في قوة الشعاع الإلهي، فلا يتصل بالجسم حتى تفيض هذه القوة على القلب فتهزه الهزة التي نعرف منها الطرب».

5. وعندما أنشئت الجامعة المصرية وبعد مرور سنتين على إنشائها كتب الرافعي مقالا في «الجريدة» يحمل فيه على الجامعة، وعلى أساتذتها، وعلى منهج الأدب فيها، فكان من أثر ذلك أن أعلنت الجامعة عن مسابقة لتأليف كتاب في «أدبيات اللغة العربية»، وحددت لتأليفه سبعة أشهر، وأفردت له جائزة مائة جنيه، فحمل الرافعي على ذلك للمرة الثانية في مقال آخر في «الجريدة» فأعادت الجامعة نشر المسابقة وزادت المدة إلى سنتين، والجائزة إلى مائتين، وتعهدت بطبع الكاتب الفائز.

وقد سبق جورجي زيدان غيره من المؤلفين فأصدر الجزء الأول من كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية» وتقدم به سنة 1911م، ثم أصدر الرافعي الجزء الأول من « تاريخ آداب العرب» بعد كتاب جورجي زيدان بنحو شهر أو شهرين.

أما كتاب جورجي زيدان فقد انتفع فيه بما كتبه المستشرقون في الحضارة الإسلامية وأدب اللغة العربية، فانتفع بمثل ما كتبه دوزي وبراون ومرجليوث ونيكولسن وبروكلمان. ويعتبر هذا الكتاب دائرة معارف في موضوعه، ولكن غلب عليه طابع الجمع، وخلا في أكثر الأحيان من النقد والتحقيق، وقد صدرت له بعد ذلك ثلاثة أجزاء، كان صدور آخرها سنة 1914.

وأما كتاب الرافعي فقد خلا من دراسة الأدب دراسة فنية أو تاريخية، بل اهتم بدراسة أصل العرب وطبقاتهم وبلادهم، كما اهتم بالدراسة اللغوية، وبدراسة الرواية ونحوها، بحيث كان هذا الجزء أشبه بالتمهيد لتاريخ الأدب ونقده. ثم أتبعه بجزأين بعد ذلك، أحدهما في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وثانيهما في الشعر العربي وأدب الأندلس والتأليف عند العرب والصناعة اللفظية إلى غير ذلك مما استتبعته هذه المباحث.

والكتاب في جملته يعتبر خطوة محمودة في تقدم طريقة التأليف، وبما أن جزأه الأول يعد كما قلنا بمثابة تمهيد لتاريخ الأدب ونقده، فإنه خلا مما يحدد شيئا من اتجاهات صاحبه النقدية.

6. (أ) وأما جزؤه الثاني وإن كان متمما لمادة الجزء الأول إلا أننا وجدنا فيه من اتجاهات النقد ما دار حول بلاغة الكلام وجودته، فقال إنها ترجع إلى ما فيه من أسرار الوضع اللغوي التي تعتمد على إبانة المعنى في تركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة التأليف وإحكام الوضع وجمال التصوير وشدة الملاءمة. ولكن هذه الجودة عنده لا

تعتبر في اللغة ومتعلقاتها بقدر اعتبارها في التوفيق بين أجزاء الشعور وأجزاء العقل على أتمها في الجهتين، فيتلقى حينئذ البيان والعقل والشعور.

وجودة الكلام – كما يراها بشيء من التفصيل – تكون بتخير حر اللفظ وأنسبه، وبتخير نادر المعنى وتمكنه، وتكون بخلوه من الإحالة والاستكراه والحشو والسفساف والضعف والقلق، وبتميزه بالوضوح، وبتوكيد معناه بالترادف ودنو المأخذ وإصابة السر وعدم تكلف الصنعة إلا ما جاء عفو البديهة، ثم بتميزه بالسهولة والابتكار، وبالتناسب الموسيقي في حروفه وكبماته، مع الاستعانة على ذلك بالمعطوفات على النسق، وبالأسجاع في الأسلوب، وبوجوه الصنعة البيانية.

هذا، ويحدد الرافعي المثل الأعلى بأسلوب الجيد البليغ بأسلوب القرآن الكريم وأسلوب الحديث الشريف شارحا ذلك بأن من أسلوب القرآن الذي يتحدى به، ما يجيء في بعض آياته من تكرار المعنى مع الاختلاف في طرق الأداء كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونوعها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، إلى ما يكون من هذا الباب. وكذلك من إعجازه تناسب آياته في النظم والطريقة، مع اختلاف المعاني وتباين الأغراض، فكأنه قطعة واحدة من غير تفاوت في علو أسلوبه وإجادته، وكأن آياته – من قوة حياتها – نفس كلامية في الكلام.

(ب)- أما أساليب الكتاب فالرافعي يرد جوهر الاختلاف بينها لطريقة الكاتب التي يشكلها مزاجه، لأن تركيب الكلام يتبع تركيب المزاج الإنساني، ولاختلاف الأمزجة تختلف الأساليب بين الناس، حتى كأن الأسلوب في إنشاء كل بليغ متمكن ليس إلا مزاجا طيبا للكلام كالمزاج العصبي البحت والعصبي الدموي، وليس الكلام إلا صورة فكرية من صاحبه، ويمكن الاستدلال بأسلوب الكاتب على أكثر أوصافه النفسية التي تكون من تأثير الأمزجة، والتي قلما تتخلف في الناس، وبها يتشابهون في كل الأجيال.

وإذا ما اعتنى الأديب بتصفية كلامه وتهذيبه وتجويد تركيبه، ونفث فيه من روحه حتى خرج مطبوعا من أثر مزاجه ونفسه، فإنه حينئذ يكون مؤثرا في نفس سامعه أو قارئه، فيتملكها إحساس الأديب وعاطفته، وبذلك يكون هذا الكلام أفصح كلام وأبلغه.

7. أما الجزء الثالث من الكتاب، فربما بدأ به مع الجزء الأول في منتصف سنة 1909م، ثم رتبه أجزاء وأبوابا، ونشر منه ما نشر، وطوى ما طوى، ولكن كما يتضح من إحدى رسائله لأبي رية أنه لم يكن قد أكمله حتى منتصف يوليو سنة 1926م، وهو إن كان قد أكمله بعد ذلك إلا أنه لم يطبعه حتى وافاه الأجل، فقام بهذه المهمة من بعد تلميذه محمد سعيد العريان، بعد أن رتب فيه ونظم ما رآه في حاجة للترتيب والتنظيم، ثم نشره في سنة 1940م وبعد دراستنا لهذا الجزء أمكننا أن نستخلص منه آراء الرافعي واتجاهاته الآتية:

(أ) إنه حين يتحدث عن الشعر إنما يريد هذا الموزون المقفى، وباللغة التي وصلت إلينا، وقال إن التوليد في الشعر إنما هو استخراج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه، أو زيادته فيه، وهو ليس باختراع لما فيه من الاقتداء فيه بغيره، كما أنه ليس بسرقة إذا كان الشاعر ليس آخذا على وجهه.

وقد دعا ذلك الرافعي ليتحدث عن تنوع الشعر، فرأى أن هذا التنوع يكون في الحقيقة ذاتيا، أي في الروح والأسلوب والمبدأ والغرض، أما روحه فهو نوع التأثير الذي يخلقه الشاعر فيه، وأما أسلوبه فهو الطريقة التي يخصص بها نوع هذا التأثير به، وأما المبدأ فهو المعنى النفسي الذي يكيف به الشعر المؤثر، وأما الغرض فهو المعنى النفسي الذي يقصده من التأثير، وعليه فلأن الشعر يمثل المعاني النفسية الخاصة العامة، وهذه متأثرة بالحياة، فإذن الشعر تمثيل حقيقي للحياة، وفي هذا التمثيل خلوده.

كذلك الشعر تمثيل حقيقي للشاعر، ولذا فإن دراسة أخلاق الشاعر وحياته عامة مهمة لتفسير شعره، فلنشأة امرئ القيس في نعمة وكبرياء وفراغ وشباب فسدت أخلاقه، فشب خليعا ماجنا، وتعهر في شعره. ثم إن تصعلكه ومخالطته الرعاء دعاه كل ذلك للجنوح في تشبيهه إلى مساويك الإسحل، وحب الفلفل، ونقف الحنظل وغيرها، ودعاه للساقط والسفساف. وهنا نتفق مع الرافعي في أنه لا ينبغي أن نحمل على مثل هذا الشاعر لأنه في كل ما ذهب إليه إنما كان يمثل عصره وبيئته، فتوجيه النقد إليه من هذه الناحية خطأ، والصواب – كما يقول- أن يكون النقد متجها للمعاني الطبيعية التي يتفاوت الناس فيها لتفاوتهم في النشأة وسلامة الذوق وخلوص الفطرة ونحوها.

(ب) على أن الدراسة الصحيحة للشعراء ينبغي ألا تقتصر على أزمان هؤلاء الشعراء وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم، مع ذكر ما يستحسن من أخبارهم وما يستجاد من شعرهم، وما أخذ عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم وفي أخذهم من المتقدمين كالحال في كتب الطبقات والتراجم القديمة وإن لم تفض هذه الكتب في ذلك. ومع أهمية هذه الدراسة ووجوب الإفاضة فيها، يجب أن تعمد إلى الموازنة والترجيح مما لا يكون إلا بين النظراء من طبقة واحدة في العصر، أو استقراء الإجادة الغالبة على شعرهم.

(ح) وبما أن الأدب صورة للاجتماع، كما ذكر، فإن ألفاظ اللغة صورة معنوية لهذا الاجتماع، وهي لا تؤدي أكثر من الصور والمعاني المنتزعة من حياة أهلها المبنية على مصطلحات ومواصفات مألوفة بينهم، لذلك فإنه بتغير صورة الاجتماع عندهم، وتبدلها لصورة أخرى، تبدو حينئذ الألفاظ الأولى غريبة، ويسرف بعضها في الغرابة إذا انعدمت صورته الذهنية من الاجتماع الحديث، فيجري مجرى الألفاظ المماتة، وهذا هو الشأن فيما يقال من خشونة وجفاء في الشعر الجاهلي في ألفاظه ومعانيه وأساليبه، وهكذا فإنك لآثار

البيئة لا تجد العرب ينظرون إلى تصفية معانيهم ونحت ألفاظهم الشعرية حتى تخرج رقيقة، وذلك راجع لفترة الاستقلال وحالة البداوة.

(د) وهذا كله يعني أن الأدب سجل من سجلات التاريخ، ولذا فهو يتأثر بالتاريخ السياسي، كما أن التاريخ السياسي يتأثر به. فوجب إذن على دارس الأدب أن يدرس هذه الناحية السياسية ليعلم مدى تأثيرها فيه.

وتأثر الأدب بالحضارة الفنية واضح كذلك، كالأثر الذي نجده في الأدب الأندلسي، إذ مازالوا يضربون المثل بأهل اشبيلية، بلد المتنزهات، في الخلاعة والمجون والتهالك على الشعر والغناء.

والأدب مع ذلك لا يتبع الحضارة لنفسها، ولكن لفلسفتها وحواشيها الرقيقة، فليس الشأن في الأنهار لنفسها أو غيرها من مناظر الطبيعة ونحوها، ولكن الشأن في فلسفة ذلك من جمال الشكل وجلاء الطبيعة، لأن الشعر ليس مادة جامدة يأتلف مع الجوامد. ثم إن الشعر حين يلجأ للفلسفة، ينبغي ألا يكون لهذه الفلسفة أثر إلا في معانيه الشعرية لتصير من الخيال وقوة التصوير وبراعة الابتكار بحيث تدل على عقل صاحبها دلالة المطابقة، وتزيد بذلك محاسن الشعر، أما من يخلط بين معاني الفلسفة الفنية ومعاني الشعر فإنه يجيء بفلسفة ركيكة ساقطة، وكذلك من يلتزم في فلسفته نوعا واحدا من مذاهب الشعر كالحكمة مثلا فإن شعره يكون باردا ثقيلا، والشاعر المجيد هو من يجمع في شعره الجمال الروحي في المعنيين الفلسفي والشعري، فيكون شاعرا وفيلسوفا معا كما هي حال بعض شعراء الأندلس كيحي الغزال وأبي الفضل بن شرف وأبي الحسن الأنصاري الجياني.

ومن مميزات الشعر ما يجيء فيه من حكمة رائعة، ومثل سائر، ووصف دقيق حتى لا يفقد الموصوف إلا الحركة والحياة. وتستحسن في الشعر المبالغة إذا لم يكن التشبيب منكشفا فيكون في إحدى جهاته سبب من الأسباب التي يصح أن تتعلق عليه المبالغة. ويعاب فيه الفخر الذي لا يقصد به سوى مدح النفس، وأما إن قصد به تأريخ فضيلة من الفضائل مثلا كأن يقول القائل إنه كريم كرم حاتم فلا بأس بذلك.

وقد استحسن الرافعي فيمن يقدم على جمع مختارات من الشعر أن يكون هو نفسه من ذوي القرائح الشاعرة، وأن يكون له بصر بالنقد يكشف له موضع التفاوت في الشعر حتى يأتي اختياره حسنا موفقا، فقد قالوا: دل على عاقل اختياره، واختيار الرجل من وفور عقله.

(ه) وقد لاحظنا من قبل أن نقد الرافعي ينصب على الناحية اللفظية، ولذلك وجدناه في هذا الجزء من كتابه يناقش استعارات الشاعر وتشبيهاته وما يجيء في شعره من أنواع البديع الأخرى، مبينا الجيد والرديء، ثم يبني على ذلك حكمه على الشاعر، وهذا مثل قوله عن امرئ القيس: « وبالجملة فإن امرأ القيس وسط بين شعراء التشبيه، وإن كان قد أكثر منه واحتذى فيه فعل أبي دؤاد والمهلهل وغيرها، إلا أن له طرقا في التشبيه هي مبتكراته، وهي

كل ما في يدنا من الأدلة على براعته وحسن تصرفه ورجحانه على غيره من متميزي الشعراء».

كذلك ينتقد الرافعي المعاني والألفاظ من ناحية مستوى تأليفها والابتكار فيها، وينتقد التكرار القبيح في الألفاظ والمعاني وتفريقه في قصائد الشاعر، كما ينتقد اضطراب القوافي وثقل الألفاظ، وقد لاحظ كل ذلك عند امرئ القيس، ووجدناه يتجاوز عن غريب شعراء الجاهلية لأنه يعتبره مألوفا وليس غريبا عند أهله. والحق أن حملة بعض المعاصرين على الأدب الجاهلي من ناحية الغرابة ليست حملة صائبة.

8. (أ) أما رسائل الرافعي لأبي رية التي نشرها الأخير سنة 1950م، وكان التراسل بينهما قد بدأ منذ ديسمبر سنة 1912م إلى أن كانت آخر رسالة من الرافعي في يوليو سنة 1934م حين انقطع ذلك التراسل، أما هذه الرسائل – مع دراستنا للمتأخرة منها إتماما للفائدة- فقد وجدناه فيها يوجه أبا رية ليقرأ كتب المعاني قبل كتب الألفاظ، وليدرس كتب الاجتماع والفلسفة الأدبية في لغة أوروبية أو فيما عرب منها، وقد وجدناه ينبهه بخاصة كليلة ودمنة والأغاني ورسائل الجاحظ وكتاب الحيوان والبيان والتبيين والمثل السائر، وعنده أن هذا الكتاب الأخير يكفل وحده لقارئه ملكة حسنة في النقد الأدبي، ولذلك فهو شديد الولوع به. وقد وجهه أيضا لكتاب « الفلسفة النظرية»، وإلى مجموعة أخرى قيمة من الكتب، كما أنه كتب إليه مرة بعزمه على كتابة رسالة صغيرة يعارض بها الدرة اليتيمة لابن المقفع، ويكتبها بنفس الأسلوب، وعلى طريقة المتقدمين.

وتوجيه الرافعي هذا لأبي ريه فيما ينبغي أن يحصل عليه الأديب من العلم والمعرفة يشرح لنا اتجاه الرافعي نفسه في الأدب والنقد لا سيما هذا العزم منه على تقليد الأسلوب القديم.

(ب) وفي الدعوة للتصرف في اللغة يقول لأبي ريه: « إن مذاهب العرب واسعة، ولنا ما لهم من التصرف في الاستعمال إذا لم نخرج من قاعدتهم، وقد يزيد الإنسان حرفا لاستقامة الأسلوب وإن خالف نقل اللغة، كما يزيد العرب ويحذفون من أمثال ذلك، وهو كثير في كلامهم، والقرآن أبلغ شاهد عليه، فدعنا من هذا ومثله، وأعتقد أن مذاهب العرب ليست بالضيق الذي يتصورونه». والرافعي بهذا القول كان يدافع عما أخذه عليه أبو ريه من استعمال الأفعال « أودع واكتشف وأحس» التي أوردها الرافعي في كتابه « حديث القمر»، وكان أبو ريه يراجعه فيما تتعدى به هذه الأفعال وفي عدم جواز فعل اكتشف.

(ج) وتعرض الرافعي **لمعاني الشعر** فرأى أن الشعر العربي لا يتسع لبسط المعاني، فإذا بسطت فيه وشرحت، سقطت مرتبته من الشعر وأصبح نظما كنظم المتون في الأكثر. وقد ذكر الرافعي هذا الرأي من قبل مقدمة الجزء الثالث من ديوانه، في معرض حديثه عن الشعر القصصي، غير أن ذلك لا يقبل منه إطلاقه، وإلا فما رأيه في مثل قصائد ابن الرومي التي يفصل فيها القول، ويستقصي المعاني ويطيل، ويكون مجيدا فيها مع ذلك غاية الإجادة.

(د) وتجد الرافعي في نقده لغيره في هذه الرسائل يحاول العثور على الغلطة التي لا يمكن ردها، وعليه فهو لا يحفل بالآراء النظرية التي لا تعدم آراء تنقضها. ونظرا لاهتمامه بالنقد اللغوي كما أوضحنا سابقا تجد عنده مثل قوله: « لقد فر العقاد من المناقشة النحوية التي فتح بابها في المقتطف وأعلن هزيمته وسأسجل عليه هذه الهزيمة في المقتطف نفسه».

والنقد الصحيح عند الرافعي ليس هو مدح الكاتب والكتاب، وإنما هو بيان قيمة الكتاب وما فيه من صواب وخطأ أولا، ثم وصف الكتاب بما ينتجه البحث بعد ذلك.

وكان الرافعي قاسيا حين يتعرض لأحد معاصريه في رسائله لأبي ريه، وهو كثيرا ما يتعرض لهم، وقد أشار أبو ريه لهذه القسوة بقوله: « وقبل أن أضع القلم أذكر أمرا لابد من الإشارة إليه، ذلك أنه قد ينبعث من بعض هذه الرسائل دخان خفيف مما كان قد شجر بين الرافعي رحمه الله وبين بعض كتابنا المعاصرين. وقد نازعتني نفسي في تبديد هذا الدخان أو تركه ولكني آثرت تخفيفه بحذف بعض كلمات وعبارات اشتد فيها قلم الرافعي».

9. وكتاب الرافعي « تحت راية القرآن» الذي أصدره سنة 1926م، والذي كان يستهدف فيه الرد على طه حسين في كتابه « في الشعر الجاهلي»، وتناول فيه أيضا مسألة القديم والجديد، هذا الكتاب كان قد نشر أكثره مقالات في « كوكب الشرق»، وبعضه في « البيان»، وبعضه في « الجريدة»، وكان أسلوبه فيه كسائر أسلوبه في نقد معاصريه من فظاظة وقسوة وعدم عفة في القلم.

(أ) ونود الآن أن نلم باتجاه النقد في هذا الكتاب لاسيما لعلاقته بكتاب طه حسين الذي سنفصل فيه القول في فصل قادم، وربما بدا روح كتاب الرافعي واضحا في قوله عن الفئة التي ينتقدها: « وهم يريدون بآرائهم الأمة ومصالحها ومراشدها، ويقولون في ذلك بما يسعه طغيانهم على القول واتساعهم في الكلام واقتدارهم على الثرثرة، حتى إذا فتشت وحققت لم تجد في أقوالهم إلا ذواتهم وأغراضهم وأهواءهم، يريدون أن يبتلوا بها الناس في دينهم وأخلاقهم ولغتهم».

وهو وإن كان لا يعترف بما يمكن أن يسمى مذهبا جديدا في اللغة ومذهبا قديما فيها، إلا أنه يريد الاقتصار على ان يقول إن هناك تجديدا قد يحدث من حين لآخر بسبب العلم والتحقيق وتمحيص الرأي والإبداع في المعنى وتصوير الحياة بمذاهبها في الشعر والنثر. وهو يسلم بذلك مهما كان مصدره، ويرى أن العصور الماضية حافلة بمثله، ولكن أصول اللغة وفروعها ظلت باقية كما هي عند أولئك المجددين القدامى، ورغم تجديدهم لم يسم أحدهم ما أتى به مذهبا جديدا وما سبقه مذهبا قديما، إذ لا محل لهذه التسمية ما دامت أصول اللغة وفروعها باقية، ومادام الحرص عليها يأتيها من جهة الحرص على الدين القائم على القرآن وإعجازه، وعلى الحديث وبلاغته، فلا يزال من اللغة والدين شيء قائم كالأساس والبناء لا منفعة فيهما معا إلا بقيامهما معا. وليس عنده ما يفسر زعم من سموا أنفسهم أنصار الجديد إلا عصبيتهم للأدب الأجنبي وأهله وزرايتهم بالقديم ومحاولة هدمه.

(ب) وهو كذلك يهاجم من يودون استعمال الألفاظ العامية للمستحدثات، ويرون في استعمال مفردات العامة وتراكيبها إحياء للغة الكلام وإلباسها لباس الفصاحة، وينادون برفع هذه اللغة إلى الاستعمال الكتاب، والنزول بالضروري من اللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب والتعامل، وهم يرون في ذلك إحياء للغة الرأي العام من ناحية وإرضاء للغة القرآن من ناحية أخرى.

والرافعي حين يرد على خطل هذا الرأي الذي ما زالت تنادي به فئة تتخبط في لغتها، يرى أن في هذا الاتجاه خطرا على اللغة الفصحى، لاسيما إن فعل كل قوم في موطنهم مثل هذا الصنيع، فسيؤدون بلا شك إلى فناء اللغة. وليس معنى ذلك أنه يماري في وجوب الإصلاح اللغوي، بل هو يدعو إليه ولكن يريده أن يكون عن طريق مجمع يحوط اللغة ويرعاها ويضع لها من المفردات ما هي في حاجة إليه. كما أنه يدعو أيضا للعناية بوجوه أوضاع اللغة وتراكيبها، لأنه يرى أن اللغة لا تكون ذات وفر وثروة من الألفاظ إلا بمثل هذه العناية.

(ج) وللرافعي في هذا الكتاب تكملة وتوضيح لرأيه السابق في دراسة الشخصيات حيث يرى أنه ينبغي أن يكون في كتابة تاريخ العظماء ما يكشف عن عظمتهم، وأما تأريخهم بذكر الميلاد والوفاة ونحو ذلك فهو صورة ميتة لهم.

(د) ويرى أن من يتصدى لنقد الشعر عليه أن يكون مزاولا لصناعته ولأساليب خياله، فإن لم يكن ذلك في طبعه أو قوته ولم يستو له شيء منه فلن يكون نقده نقدا حقا. وكذلك من يؤرخ الشعر ينبغي أن يكون شاعرا يوثق بملكته، فإن الحس والملكة من أقوى ما يعين على ذلك. وربما كان هذا الذي يريده الرافعي هو الأفضل وليس لازما، فهناك كثير من النقاد ومؤرخي الشعر من يتذوقون الأدب تذوقا صحيحا سليما ونظراتهم فيه صائبة مسددة، وهم مع ذلك ليسوا بشعراء ولكنهم يتميزون بما لديهم من حاسة فنية.

(ه) ولما انتقد الرافعي طه حسين في هذا الكتاب عابه بتجرده العلمي لا سيما التجرد الديني حتى انتهج مذهب ديكارت في بحثه في الشعر الجاهلي وقال بأن ننسى لدى البحث قوميتنا ودیننا وكل ما يتصل به. وقد أوضح الرافعي أن هناك فرقا بين البحث عن حقيقة فلسفية عقلية محضة، وبين البحث عن حقيقة أدبية تاريخية قائمة على النص وأقوال الأدباء، وفوق ذلك يرى أن طه حسين لم ينتهج مذهب ديكارت انتهاجا صحيحا إذ أنه كان يقرر تقريرا، وشتان بين بحث يراد منه ما ينتجه من غير تعيين لنتيجة محتومة، وبين تقرير النتيجة التي يساق لها البحث، وتجمع لها الأدلة.

واختلف كذلك مع طه حسين في تحديد الشخصية الأدبية فهو فهو لا يراها – مثله- في الجزالة والفخامة أو الرقة والسهولة، إذ أن هذه تتبع الفن الذي يعالجه الشاعر، والشاعر لا يلزم في ذلك نمطا واحدا بعينه إلا إذ لزم فنا واحدا في المعنى كالغزل مثلا، كما أن الشخصية في الشعر العربي ليست هي العاطفة والنزعة والفكرة الفلسفية، وإنما هي شخصية أحزاب

وجماعات لا أفراد، فجماعة يلزمون طريقة الجزالة والقوة، وآخرون يؤثرون الرقة والسهولة، وجميعهم يقلد بعضهم بعضا، فيتفق شعرهم في الطريقة على اختلافهم وتعدد أشخاصهم، ومثلهم في ذلك شعراء الصنعة البيانية وعمود الشعر، وشعراء الشيعة، وشعراء الفلسفة والحكم والأمثال.

على أن الرقة والجزالة ونحوهما لا ترجع في الشعر عنده إلى لغة الشاعر ولا عصره، ولكن لعواطفه ومعانيه وذوقه، وترجع للطريقة التي نشا عليها، وللشاعر الذي يحتذيه، وفي ذلك غض من الرافعي لأثر العصر وأثر لغته في لغة الشاعر لا نوافقه عليه، ولا نشك في أن التوفيق قد جانبه فيه.

(و) ثم هو يرد على رأي طه حسين في وحدة القصيدة العربية، ذلك الرأي الذي سيأتيك فيما بعد، يرد عليه فيرى أن القصيدة العربية القديمة الصحيحة بالنسبة لقائلها يمكن تغيير لفظ فيها بلفظ، وتقديم بيت على بيت، دون أن يفسدها ذلك، فهي بطبيعة الحال مبدوءة بنسيب، وخارجة منه إلى أغراض أخرى يمكن أن يحذف منها ما يحذف وتبقى بقية الأغراض مستقيمة، وعنده أن القصيدة العربية القديمة وحدتها في قافيتها فقط، وأنه لا يعيبها أو يزينها إلا القافية، كما أن الشعر العربي على طريقته المعروفة إنما مداره على التأثير، وهو الغاية منه. وأخيرا يضيف الرافعي إلى رأيه هذا دعوته إلى تنويع القوافي والبحور.

10.ولا بأس الآن من أن نشير إلى كتاب الرافعي « على السفود» الذي أصدره سنة 1930م، والذي كان ينشره مقالات في مجلة « العصور» بين سنتي 1929م و 1930، نشير إليه لأن قسوة النقد فيه قد بلغت ذروتها، وذلك وحده خليق بالتسجيل، كما أنه يصور جانبا من المعركة بين العقاد والرافعي، كما صور كتاب « تحت راية القرآن» جانبا من المعركة بينه وبين طه حسين، وهذا أيضا مما يدعو للإشارة للكتاب.

وهذا الكتاب كله في نقد العقاد، وربما كان من أسباب هذه الحملة فيه ما ذكره العريان فعزا أمرها إلى ما دار بين الرافعي والعقاد – على حد تعبيره- في دار المقتطف حول حقيقة إعجاز القرآن وكتاب إعجاز القرآن للرافعي، وقد ذكر العريان أن للعقاد فيهما رأيا غير رأي الرافعي، كما أن العقاد هاجم الرافعي بأنه افترى قول سعد في تقريظ إعجاز القرآن ليروجه به. وحسبنا هنا نسجل رأي العريان هذا، ونضيف إليه ما سبق ذلك من تصادم بين الرافعي والعقاد، ذلك التصادم الذي كان من آثار بعضه نقد العقاد للرافعي في الجزء الثاني من كتاب « الديوان» سنة 1921م.

هذا وقبل أن يضع الرافعي العقاد على السفود، سبق له أن وضع عبد الله عفيفي على السفود في مقالات ثلاث نشرتها مجلة العصور أيضا تحت هذا العنوان نفسه سنة 1929م، ثم تلت ذلك مقالات الرافعي عن العقاد التي جمعت في هذا الكتاب الذي نتحدث عنه. على أنك لا يمكن أن تعتبر هذا الكتاب كتابا في الأدب أو في النقد، فهو بعيد عن ذلك كل البعد، إنما هو سباب وشتم وتجريح. ويكفي ما قاله عنه تلميذ الرافعي المخلص سعيد العريان: « ولكن فيه

مع ذلك شيئا خليقا بأن يطمس كل ما فيه من معالم الجمال فلا يبدو منه إلا أدم الصور وأقبح الألوان، بما فيه من هجر القول ومر الهجاء، ولئن كان هذا مذهبا معروفا في النقد للرافعي وخصمه واثنين آخرين من كتاب العربية في هذا الجيل – إننا لنريد للناقدين في العربية أن يكونوا أصح أدبا وأعف لسانا من ذاك..!». ويكفي أيضا أن ننقل إليك هنا بعض عباراته التي لا تعتبر شيئا بالنسبة لغيرها من حيث مرارة اللفظ وهجره، بل ربما اعتبرت مهذبة نبيلة، قال الرافعي: « وتظاهر العقاد باحتقار الأدباء – مع انه في نفسه يغلي حقدا وحسدا- طريقة مسروقة يقلد فيها الكاتب الانجليزي الشهير "برنارد شو" الذي يقول إنه لا يجد عقلا يستحق احتقاره إلا عقل شكسبير!!! ولكن أنظر الفرق بين الأصل والتقليد، "برنارد شو" يحتقر النوابغ من جهة عقليته فلا يحسد، والعقاد من جهة نفسيته فلا يعقل، والأول يضع الآراء ويبتكرها والثاني يسرق ويدعي، وذلك يحتقر احتقارا ساميا أساسه التظرف، وهذا دنيء دنيء أساسه الحسد ولؤم الطبع والعامية الثقيلة الآتية من الشوارع».

ولكن بعد هذا كله أعجب معي للأستاذ إسماعيل مظهر في تعريفه بالكتاب إذ يقول: « وإن نحن قدمنا اليوم السفود بهذه المقدمة الوجيزة، وقد هم أحد أدباء الناشرين بنشره، فإنما نقدم بها تعريفا لما قصدنا من إذاعة هذه المقالات الانتقادية التي أعتقد بأنه لم ينسج على منوالها في الأدب الحديث حتى الآن. وعسى أن يكون "السفود" مدرسة تهذيب لمن أخذتهم كبرياء الوهم، ومثالا يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص، ووثنية الصحافة في عهدها البائد». اقرأ هذا وأعجب معي ثم أسأل عن الضمير الأدبي.

على أغلب نقد الرافعي في هذا الكتاب نقد فقهي كنقده في غيره إذ عني فيه بالبيت الفرد وينقد الصياغة والألفاظ، كما اهتم ببحث السرقات والخطأ الإملائي واللغوي والنحوي والصرفي والعروضي، واهتم باللفظ المبتذل، وفساد المعنى، وفساد الذوق إلى غير ذلك من نقد لا يخلو من صواب أولا ما شابه من غلو وغرض مما جعله لا يذكر للمنقود حسنة واحدة.

11.ولقد عرضنا فيما مضى لمجمل المقاييس النقدية عند الرافعي في الربع الأول من هذا القرن وتجاوزنا فيها إلى ما بعد ذلك قليلا. أما عن روحه في النقد فقد كان الانتقام فيها واضحا، وقد كانت هذه هي حاله مع كلمن تعرض لنقدهم، وكان يتجنى على غيره لأتفه الأسباب، ولا يقف عن نقده لغيره، ولكنه يسعى إلى تحطيمه، وإن حدث أن مدح أحدا فلا بد أن يعود إليه بالهجاء، وهذا ما فعله مع العقاد وطه حسين وزكي مبارك وعبد الله عفيفي والريحاني وسلامة موسى والبارودي والمنفلوطي ولطفي السيد وغيرهم، وكان بوده أن يهدمهم جميعا إذ قال: جميعا إذ قال: جميعا إذ قال: « إن كل ما أتمناه من زمن بعيد هو أن أتفرغ لمقالات في النقد نحو سنتين أو ثلاث تهدم العصر كله من جميع نواحيه الضعيفة وتبني عليه أدبا جديدا، فإن هذا العمل ينشئ جيلا قويا جدا ويقضي على التدجيل الصحافي المتفشي الآن ويحدث في الأدب واللغة نهضة تنبعث بالحياة».

ولترى أنه لا يترك مدحه يمضي لنهايته دون أن يخلطه أو يلحقه بهجاء، لترى ذلك استمع إليه يمدح لطفي السيد بقوله: « وقد وعدني الكاتب العظيم لطفي بك السيد أنه سيكتب لي برأيه لأنشره»، ثم استمع إليه يعود بعد ذلك فيقول في رسالة أخرى لأبي ريه: « لقد كانت المقالة الماضية صاعقة على لطفي السيد أظهرت خباياه ونواياه وأبانت لهم أنه فيلسوف سوفسطائي وستكون الثانية التي تنشر غدا إن شاء الله أشد، وقد فرغت منه بهاتين المقالتين، وسأحاول الانتهاء من طه أيضا بمقالتين».

وكان الرافعي يندفع في تجريح من يبدو منه نقد له، من ذلك أنه لما أشار زكي مبارك إلى وجود رسائل غرامية في الأدب العربي، وأورد بعضها لأن الرافعي يقول إنه بكتابه «أوراق الورد» إنما يسد مكانا خاليا في الأدب العربي من أول تاريخه إلى يوم صدور كتابه، عند ذاك كتب الرافعي عن زكي مبارك لأبي ريه يقول: « ومن أجل هذا عزمت إن شاء الله على وضعه في السفود وإتمام الجزء الثاني وسأبين غلطاته الهائلة في تصحيح زهر الآداب، لأن الرجل الآن مغرور جدا ولا يسقطه إلا ظهور هذه الأغلاط...». ثم ظل ينقده في رسائله له مدة شهرين.

والخصومات الأدبية بين الرافعي وبين أدباء عصره كثيرة، كان من أثرها كثرة أعدائه، فهناك خصومة بينه وبين طه حسين، وقد بدأت بينهما حول كتاب «رسائل الأحزان» في سنة 1924م في السياسة الأسبوعية، وإن كان قد سبق لطه حسين أن انتقد كتاب «تاريخ آداب العرب» عندما ظهر الجزء الأول منه، وطه حسين وقتئذ طالب في الجامعة. كذلك هناك خصومة بينه وبين العقاد، وثالثه بينه وبين عبد الله عفيفي إلى غير ذلك من معارك وخصومات أدبية أشرنا إلى بعضها فيما مضى. ويجدر بنا أن نذكر هنا أن أول نقد صدر من الرافعي في تلك الخصومات هو مقاله «شعراء العصر» الذي نشره في يناير من سنة 1950م في مجلة الثريا، وقد عمد فيه إلى ترتيب الشعراء طبقات، وكتب رأيه في كل شاعر، مقتبسا من شعره ومستشهدا به على ترتيبه في طبقته، وقد وضع هو نفسه في الطبقة الأولى ووضع معه فيها الكاظمي والبارودي وحافظا.

وممن وضعهم في الطبقة الثانية صبري وشوقي ومطران، وممن وضعهم في الطبقة الثالثة الكاشف ومحرم ونسيم. ولكن الرافعي غير رأيه في هذا الترتيب فيما بعد، ومن ذلك اختلاف رأيه في شوقي إذ قال عنه بعد ذلك الترتيب: « أما في الشعر فهو حقيقة أشعر هؤلاء الموجودين بيننا ولكن لا يشرفه أنه أشعرهم». وقال عنه بعد ذلك في موضع آخر: « أما أن شوقي أشعر من البارودي فهو الواقع لأن البارودي لا يزيد على قوة الأسلوب وفخامته، ولكن الشعر في معاني شوقي ومواضيعه، والبارودي من هذه الناحية ضعيف جدا، والفرق بينه بين شوقي في هذا كالفرق بين زمن شوقي وزمن البارودي».

12. هذا، وأكثر نقد الرافعي – خلال الربع الأول من هذا القرن- نقد فقهي، وهو يتخذ فيه الأساليب القديمة أمثلة تحتذى، والرافعي بذلك يمثل، لحد ما، بين نقاد العصر الحديث

من يسمونهم أنصار القديم، وإن كنا نلاحظ أن له مقاييس فنية كسائر النقاد المجددين، بل كان أسبق منهم في بعض تلك المقاييس، وقد مر عليك الكثير منها، كما أنك ستجد ذلك أيضا في تلخيصنا لنقده بعد، ولكن الذي نلاحظه هو أنه كان لا يسير – غالبا- على هذه المقاييس في نقده التطبيقي مما دعا للقول بأن نقده فقهي في جملته، وفيما يلي نلخص أسس هذا النقد عنده:

أولا: إن الشعر هو لسان القلب، وترجمان النفس، فيبتغي أن يكون واضحا مصقولا بالحكمة، مؤثرا في سامعيه، جامعا بين الجمال الروحي في الفلسفة والشعر، في غير ما بسط للمعاني، مع تنويع قوافيه وبحوره، دون استبعادها للشاعر، ومع النظر إلى جوهر الشعر وروحه، كما ينبغي أن يكون الشاعر محتذيا حذو فحول الشعر الأقدمين، مصورا بخياله ما ينعكس على خاطره من محسوسات، ولكن ليس كما تفعل آلة التصوير، بل يستهدف فلسفة هذه المحسوسات، وأثرها في النفس، ولا بد للشاعر من أن يكون رقيق الحس، مطبوع النفس، صافي الذهن، منتبه الخاطر، بعيد النظر، شديد العارضة، قوي البديهة، محنكا بالتجربة والحكمة.

ثانيا: إن جودة الأدب بعامة، تكون في نظرته الشاملة، وتمثيله للطبيعة، ومطابقته للواقع، وتكون في حسن لفظه وفصاحته، وفي نادر معناه، ودقة تأليفه وإحكامه وتناسبه وجمال تصويره فيخلو من الحشو والابتذال والضعف والقلق والإحالة والاستكراه والتقليد، ويعنى بالتنميق والصنعة البيانية من غير تكلف، ويتصف بالسهولة والابتكار وسمو الغرض، ولا بأس فيه من المبالغة إن لم تؤد للإحالة، كما لا بأس فيه من الأخذ الذي يضيف فيه الآخذ وتبدو فيه شخصيته وأسلوبه، ولا بأس أيضا من التصرف في اللغة مع مراعاة قواعدها، ومع نزوع الأديب للتجديد بوجه عام.

ثالثا: إن شخصية الأديب هي في تصويره لمذهب جماعته وطريقتهم في الأدب على أن يتبع أسلوبه الخاص مزاجه، فالأسلوب صورة صادقة لنفسية صاحبه وفكره، ولذا وجبت دراسة حياته لتفسير أدبه، وبما أن المعاني النفسية جميعها متأثرة بالحياة فالأدب تمثيل صادق للحياة أيضا، يتأثر بها ويؤثر فيها، وخلوده في هذا التمثيل، كما أن ألفاظ اللغة صورة معنوية للحياة، فكلا الأدب واللغة يتجدد وفقا لتطورها، ومن هنا وجبت مراعاة عصر الأديب وبيئته عند نقد أدبه، وإن كان الرافعي يناقض نفسه في موضع آخر فيرى أن الأسلوب الشعري لا يرجع للغة الشاعر وعصره، بل لعواطفه ومعانيه وذوقه إلى غير ذلك، وفاته ما قرره من أن الشاعر يتأثر بالحياة العامة في نفسيته وفكرته.

رابعا: إن تقدير الناقد للأديب يجب أن يكون بناء على قيمة أدبه، وعلى من ينقد الشعر أو يختار منه أو يؤرخه، عليه أن يكون هو نفسه ذا قريحة شعرية، وأخيرا على مؤرخ الأدب أن يعطي عن أدبائه صورة حية واضحة.